غياب ضياء الحق
نصير الجهاد الأفغانى

العالم الإسلامى ينعى الشهيد ضياء الحق:

صحيفة النور، العدد ٣٣٨، فى ١٩٨٨/٨/٢٤م، بتصرف

ضياء الحق ذلك الرجل الذى قدم إنجازا كبيرا فى مجال تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان، وضرب المثل فى مساعدة المجاهدين الأفغان. لذلك تلقت الأوساط الإسلامية فى العالم بحزن بالغ خبر اغتيال الرئيس ضياء الحق يوم الأربعاء ١٧ أغسطس ١٩٨٨م، وأقامت العديد من المساجد فى العالم صلاة الغائب على روحه الطاهرة.

وقد نوهت قيادات التيارات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم بمواقف الشهيد ضياء الحق فى خدمة القضايا الإسلامية، وجمع كلمة الأمم الإسلامية، ومساندته القوية لمجاهدى أفغانستان، وحرصه الشديد على تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا فى باكستان. وقد أشاد زعماء الجاهد الأفغانى بالرئيس الشهيد ضياء الحق، وأشاروا إلى أن الفقيد قد وافاه الأجل المحتوم فى ظروف دقيقة كان الجهاد الأفغانى والعالم الإسلامى والشعب الباكستانى فى أمس حاجة لجهوده المثمرة، وكفاحه المخلص، كما امتدح الزعماء الإسلاميون فى كل مكان بعاطفة الشهيد ضياء الحق الإسلامية المتأججة وتمسكه الشديد بآداب الإسلام وأخلاقه وشعائره ومساندته المخلصة لمجاهدى أفغانستان.

وأصدرت جمعيات التيارات الإسلامية فى العالم بيانات نعت الرئيس ضياء الحق، وأكدت فيها أنها لا تنسى للشهيد ضياء الحق مواقفه المشرفة من قضايا الأمة الإسلامية، والعمل على جمع كلمة الشعوب الإسلامية، ووحدة الصف الإسلامى. ولا تنسى له أبدا مساندته للمجاهدين الأفغان، ووضع جميع الأمكانيات الممكنة

لخدمة رسالتهم الجهادية النبيلة، وتأييده لهم فى المحافل الدولية. كما أشادت بحرص ضياء الحق على تطبيق الشريعة الإسلامية فى بلده باكستان. وأكدت أنه كان رجلا من رجالات الإسلام وبطلا من أبطاله. وأنه وقف وقفة صلبة وراء المجاهدين الأفغان حتى حققوا النصر الذى يريدونه. وأكدت أن الأمة الإسلامية خسرت بمصرعه أحد أعمدتها الصلبة.

وأكد الزعماء فى العالم أن حادث اغتيال ضياء الحق أمر مؤسف. وأضافوا أن المسلمين كانوا يراقبون بأمل بالغ الخطوات الأخيرة لضياء الحق نحو تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان لتكون مثلا يحتذى فى العالم الإسلامى.

المهاجرون الأفغان يبكون فى الشوارع:

فى إقليم بشاور اندفع الآلاف من المهاجرين الأفغان المقيمين فيه إلى الشوارع وهم يبكون فور سماعهم حادث اغتيال ضياء الحق الذى كان السند القوى لهم طيلة تسع سنوات من جهادهم وحربهم ضد القوات السوفيتية المحتلة، وضد القوات الأفغانية الشيوعية المساندة لها. وقد بلغت قصة الحزن على لسان أحد المهاجرين عندما أخذ يبكى بصوت عال وهو يردد "من يساندنا الآن" وذكر مهاجر آخر أن مصرع ضياء الحق فى وقت حرج للغاية بالنسبة للقضية الأفغانية حيث يشهد العالم المرحلة الأولى للانسحاب السوفيتى من أفغانستان.

والسؤال المثار داخل أوساط المهاجرين الأفغان فى باكستان الذين يقدر عددهم من حوالى ثلاثة إلى خمسة ملايين مهاجر: هلا ستستمر الزعامة القادمة فى باكستان فى مساندة المجاهدين ودعم المهاجرين؟ أم أن الرئيس الجديد سيقوم

بالتضييق عليهم، وإعادتهم إلى داخل أفغانستان حيث يرفضون العـودة إلى بلادهـم فى ظل حكومة كابل الماركسية القائمة؟!

ومن المعروف أن الشهيد ضياء الحق قـد تحمـل الكثـير مـن المتـاعب بسـبب دعمه للمجاهدين الأفغان، فقد كان الزعيم الإسلامى الوحيد الذى جـاهر بدعمـه لهم فى الوقت الذى يرفض فيه الزعماء الآخرون مجرد الاعـتراف بالحكومـة المؤقتـة التى أعلنها المجاهدون. وقد توعده السوفيت شخصيا قبيل اغتياله بأيام لهذا السبب.

مسيرة ضياء الحق الإسلامية:

خطوات الرئيس الراحل ضياء الحق والمجهودات التى بذلها فى سبيل التطبيـق الكامل للأحكام والقوانين والنظم الإسلامية فى إطار نظام إسلامى شـامل.. ففـى العدد ٩٩ نشرت صحيفة النور تحت عنوان "معاقبة من يتعـرض للسـيدات بـالجلد فى باكستان" وصحب الخبر صورة أثنـاء تنفيـذ الجلـد علـى أحـد المتهمـين، وفـى التفاصيل ذكرت الصحيفة أنه تم الحكم على ٣٢ متهمـا بـالجلد ٣٠ جلـدة. وفـى العدد ١٢٠ نشرت فى صفحتها الأولى تصريحا للرئيس ضياء الحق أدلى به إلى مجلـة منار الإسلام قال فيه: إن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يحتاج إلى لجان لنسألها رأيهـا فى قضية التطبيق، وكيف نسألها ونحن نتجه إلى حقائق الإيمان، وهى كسب دائـم. وضرب رحمه الله مثلا بما حدث عند إعلان باكستان تحريـم الخمـر ومنـع تقديمهـا بأى مكان فى باكستان، وتقرير الخبراء بأن تطبيق هذا القرار على خطوط الطـيران الباكستانية سيترتب عليه خسائر فادحة. فقلت إنه مكسب حرام لا حاجة لنـا بـه، ولابد من التضحية وتحمل الخسائر، إذ لا مفر من الإيمان بأمر الله والعمل به. ونفذ

قرار المنع وكانت المفاجأة لأن الشركة حققت أرباحا أضعاف الخسائر المتوقعة لأول مرة.

وفى العدد ١٤٤ نشرت الصحيفة خبرا تحت عنوان "ضجة فى باكستان بسبب استفتاء ١٩ ديسمبر" وذكرت فى تفاصيل الخبر ما يلى: يتوجه الشعب الباكستانى يوم الأربعاء القادم للإدلاء بآرائهم فى الاستفتاء الذى دعا إلى إجرائه الرئيس محمد ضياء الحق. ويستهدف معرفة موقف الشعب الباكستانى إزاء الخطوات التى اتخذها فى طريق تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان، وموقفه إزاء استمراريتها. وقد أثار قرار الرئيس ضياء الحق ردود فعل داخلية واسعة النطاق.

وفى العدد ١٤٥ كتب مؤمن الهباء تحليلا تحت عنوان "باكستان تقترع اليوم على تطبيق الشريعة الإسلامية" أشار فيه إلى قرار الرئيس ضياء الحق بإجراء استفتاء شعبى حول رأى الشعب فى مد فترة حكمه خمس سنوات أخرى حتى يتمكن خلالها من مواصلة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. وفى العدد ١٤٦ نشرت صحيفة النور نتيجة الاستفتاء، وأوضحت أن ٩٥٪ من أبناء الشعب وافق على الاستفتاء، وعلى استمراره فى السلطة لمدة خمس سنوات قادمة لتنفيذ إضفاء الطابع الإسلامى على كافة مظاهر الحياة فى باكستان.

وكان الرئيس الشهيد ضياء الحق يؤمن بأن الشريعة الإسلامية هى النظام الأمثل للحياة. ومن ذلك ما نشرته صحيفة النور فى العدد ١٧٥ حيث دعا فى افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الشورى الباكستانى إلى ضرورة بذل جهود منسقة لتطوير نظام حكومى فى باكستان يتناسب مع الظروف المحلية لها. وكان رحمه الله

يطالب دائما بضرورة التوصل إلى أفضل السبل للتطبيق الكامل للشريعة الإسلامية حتى يتمكن من التخلص من كل الشرور الاجتماعية التى أنشأتها الأنظمة المستوردة.

ومن مجهودات الرئيس الشهيد ضياء الحق فى سبيل قيام نظام إسلامى شامل إنشاء سبعة آلاف شعبة للتعامل الإسلامى على مستوى باكستان حيث تؤدى هذه الفروع عملها فى التنمية على أساس من المشاركة الإسلامية. ومن هذه الجهود مراسيمه الأربعة التى أصدرها لإقامة حدود الشريعة الإسلامية، وهى حد الزنا، والسرقة، والربا، وحد شرب الخمر. وبمناسبة مرور تسع سنوات على تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان أمرت حكومة الرئيس الشهيد بتشكيل عدد من المؤسسات الشرعية تختص بالحكم فى إقامة الحدود، منها المحكمة الشرعية بباكستان.

وقد استطاعت حكومة الرئيس الشهيد أن تلغى النظام الاقتصادى الربوى ليقوم بدلا منه النظام الاقتصادى الإسلامى الذى يقوم على المعاملات غير الربوية، وقد نشأ وتم خلق نظام إسلامى فى ظل تطبيق الشريعة الإسلامية. وفى مجال القضاء وجهت حكومته الدعوة للشعب الباكستانى لتطبيق الشريعة الإسلامية فيه بالإضافة إلى مجالات الحياة الأخرى لتحقيق الأهداف التى قامت دولة باكستان لأجلها.

ومن جهوده الإسلامية خطابه التاريخى الذى ألقاه فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الدولى للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة الذى عقد فى الفترة من ١٨ إلى ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م فى إسلام آباد، استعرض فيه أمجاد المسلمين، وسبقهم

للعالم الغربى فى مختلف العلوم، وطالب فيه الحكومات الإسلامية بالحفاظ على علمائها، وعدم التفريط فيهم لدول أوربا، وأكد على ضرورة جذب العلماء المسلمين النابغين الذين تركوا بلادهم للعمل فى الدول الغربية.

من قراراته التاريخية فى المجالات الإسلامية قراره التاريخى الذى أصدره بشأن تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة ابتداء من يوم الأربعاء ٢٩ يونيو ١٩٨٨م. وقد اعتمد المكتب المسئول عن الشئون الجارية الذى كان يرأسه الرئيس الشهيد كبديل عن مجلس الوزراء المنحل، اعتمد القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية التى أعدها عدد من علماء الإسلام منذ زمن طويل وصدر الأمر إلى الأجهزة التنفيذية بتنفيذ القوانين الإسلامية الجديدة فورا، وقد قامت السلطات الباكستانية بعزل أربعة من كبار المسئولين فى أجهزة الإعلام التى تديرها الدولة، وهم أمين الإعلام، ورئيس التلفزيون، ورئيس ندوة الصحافة، ورئيس دائرة الإعلام الصحفية لأنهم لم يلتزموا بالقرار الخاص بشأن مراعاة الشريعة الإسلامية فى وسائل الإعلام.

وكانت نهاية مطافه رحمه الله قراره المفاجئ بتطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان وإزالة العقبات، فقد أعلن تبيطق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا وشاملا ولأجل تنفيذ هذا القرار الأخير قام بحل البرلمان، وأقال الحكومة بسبب تحفظها تجاه تطبيق الشريعة الإسلامية الأمر الذى أدى إلى تولد خلافات بين الرئيس الشهيد ورئيس الوزراء محمد خان جوينجو. وكانت وجهة نظر رئيس الوزراء الذى تلقى دراسته فى بريطانيا كانت تدور حول عدم إثارة مسألة تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية على اعتبار أنها لا تضيف جديدا، فى حين أن مسألة تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية بحذافيرها كانت الشغل الشاغل للرئيس الشهيد ضياء الحق،

وهذه حقيقة فالرجل منذ بداية عهده وهو يعلن عن رغبته الشديدة فى تطبيق الشريعة الإسلامية، وكان صادقا فى ذلك إلى حد بعيد. وهكذا اختلف الرجلان، وظل الرئيس الشهيد ينتظر الفرصة ليتخلص من رئيس وزراءه حتى جاءت خلافاتهما حول إدارة مسجد الملك فيصل الذى يعد النواة لجامعة إسلامية عالمية فى باكستان. وكان الرئيس الشهيد يريد أن يتولى أمور المسجد علماء مسلمون فقهاء فى التشريعات والقوانين الإسلامية ليساعدوا المسلمين على تطبيق الشريعة الإسلامية، فى حين كان رئيس وزرائه يريد أن تتولى إدارة المسجد شخصيات علمانية ممن تعلموا فى أوربا وأمريكا مثله، وكان هذا الخلاف هو سبب إقالته عن رئاسة مجلس الوزراء فى باكستان بالإضافة إلى عدم إخلاصه للجهاد والمجاهدين الأفغان.

والحقيقة أن فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان ليست وبيدة اليوم، فالمناقشات والمجادلات تدور حول هذا الموضوع منذ أمد بعيد، والرئيس الشهيد ضياء الحق نفسه أعلن فور توليه السلطة أن تطبيق الشريعة الإسلامية أصبح أمرا مفروغا منه،وبالفعل بدأت منذ سنوات عملية تقنين الشريعة الإسلامية أشرف عليها مجلس العلماء، حتى تم وضع أكثر من ١١١٥ قانونا، بالإضافة إلى وضع جميع الحدود الشرعية التى طبقت بعضها على عدة حالات خلال العامين الماضيين قبل اغتياله.

وكان الرئيس الشهيد محمد ضياء الحق قد أصدر أمرا فى عام ١٩٨٤م بإدخال مبادئ الشريعة الإسلامية فى قانون العقوبات العسكرية بتطبيق قاعدة

الحدود الإسلامية التى تنص على عقوبات جاءت فى القرآن الكريم مثل الجلد فى حالات السرقة والزنا وشهادة الزور وشرب الخمر.

خطوات الرئيس الشهيد لتطبيق الشريعة الإسلامية:

منذ اللحظة التى تردد فيها اسمه كزعيم جديد فى باكستان عام ١٩٧٩م وحتى اللحظة التى أُعلن فيها عن جريمة اغتياله، والعالم كله بشرقه وغربه يدرك جيدا ارتباط اسم ضياء الحق بالإسلام بمفهومه الشامل كدين ودولة. وعلى مدى ١١ عاما قضاها فى الحكم تأكد إخلاصه للإسلام وتبيطق قوانينه بأقواله وأفعاله وأعماله..

فعندما تولى رئاسة أركان الجيش الباكستانى فى عام ١٩٧٧م فى حكومة ذو الفقار على بوتو أصدر مرسوما يقضى بتحريم تناول الضباط للخمر، وأمرهم بالتمسك بالإسلام وتأدية الصلوات فى أوقاتها. وعقب نقلاب عام ١٩٧٧م سعى إلى أسلمة باكستان فى النواحى الاقتصادية والقضائية. وقام بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بصورة حاسمة فطبق حد السرقة وحد الزنا وكان ذلك يتم فى العلن عبرة للناس.

وفى عام ١٩٧٩م بدأ تطبيق النظام الإسلامى بصورة شاملة.. فعلى سَبِيلَ المثال أنشأ البنوك الإسلامية غير الربوية، وفى عام ١٩٨٥م ألزم جميع البنوك بالتعامل طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية. وفى إطار التطبيق الكلى للشريعة الإسلامية قام فى عام ١٩٨٠م بفرض الضرائب الاجتماعية لمساعدة الفقراء والمساكين، وطبقت الزكاة (٢,٥) فى المائة على الودائع البنكية والأموال المدخرة.

وفى عام ١٩٨٤م عين جماعات للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لمراقبة تأدية الجماهير للشعائر الإسلامية فى جميع القرى والمدن. وفى ديسمبر عام ١٩٨٧م أجرى استفتاءا شعبيا عاما على نظامه الإسلامى، وكانت نتيجة الاستفتاء ٩٨٪ لصالح النظام الإسلامى.

وعلى الصعيد الدولى كان يتمتع بشعبية كبيرة لدى الشعوب الإسلامية. ومن خلال عضوية باكستان فى المؤتمر الإسلامى قام بالكثير من الخدمات الإسلامية، ففى عام ١٩٨٠م دعا إلى اجتماع غير عادى لمنظمة المؤتمر الإسلامى لمناقشة الأزمة الأفغانية، وقد نجح فى الحصول على تأييد لدعوته بمقاطعة أغلب الدول الإسلامية لدورة الألعاب الأولمبية التى أقيمت فى موسكو عام ١٩٨٠م احتجاجا على دخول القوات السوفيتية إلى أفغانستان وبالنسبة للحرب الإيرانية العراقية حيث كان رحمه الله يحتفظ بعلاقات أخوية مع كل من إيران والعراق فقد بذل مساعيه الحميدة فى طهران وبغداد من أجل وقف الحرب وإراقة الدماء. ومن الوقت الذى تولى فيه مسئولية إدارة بلاده وهو يعطى اهتماما بالغا لهموم أمته الإسلامية سواء فى ذلك الأزمة الأفغانية والقضية الفلسطينية وكذلك الحرب بين إيران والعراق.

الشهيد ضياء الحق والحكومة الإسلامية:

لم يتجه ضياء الحق بباكستان إلى تطبيق الشريعة الإسلامية عن فراغ، ولكن عن إيمان قوى، وعقيدة راسخة وثقافة إسلامية، والتزام عملى واضح بتعاليم الإسلام على المستوى الشخصى.. ومن خلاصة فكره عن الإسلام اعتقاده أن السياسة هى الإسلام، وليس هناك أى فارق يجعل العقيدة فى جانب والحكومة

والسياسة فى الجانب الآخر. وكان يقول فإذا قمت بصفتى رئيسا للدولة، وحاكما عسكريا بعمل يتنافى مع الإسلام فإنه يكون من الواجب على الناس الاعتراض علىّ دون النظر إلى كونى أُصلى الصلوات الخمس، وأقوم بفرائضى الدينية، ودون النظر إلى كل ما أقوله عن الإسلام.

عندما سقطت حكومة ذو الفقار على بوتو عام ١٩٧٧م، وتولى هو زمام السلطة كان الشعب الباكستانى يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية على أساس أن باكستان إنما قامت باسم الإسلام، ولذا فإنه من الواجب تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية. وقد كان هذا الشعور الإسلامى الشعبى الجارف أحد الأسباب والدوافع الرئيسية التى شجعت الرئيس الشهيد ضياء الحق على البدء فى تطبيق الشريعة الإسلامية، إضافة إلى تشجيع زملائه والمحيطين به على سلوك هذا الطريق السوى.

وعندما بدأ ضياء الحق مسيرة تطبيق الشريعة الإسلامية كان فى ذهنه أنه ليس هناك فارق بين الديمقراطية الإسلامية والديمقراطية الغربية من حيث كيفية الانتخابات لأن متطلبات عالمنا اليوم تختلف عما كانت عليه فى الماضى، ولذا فإن اختيار أهل الشورى من خلال الانتخابات يعد الطريقة المثلى فى الإسلام، وطريقة مقبولة دوليا.

وكان يرى أن الديمقراطية الغربية التى تقوم على ثلاث سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية غير الديمقراطية الإسلامية التى تقوم على أساس سلطتين تنفيذية وقضائية، وتكون مستقلة استقلالا كاملا، وكان يؤكد أنه لا يوجد فى الإسلام سلطة تشريعية قائمة بذاتها على النمط الموجود فى الديمقراطية الغربية لأن

المفهومين مختلفان تماما فلديمقراطية الغربية تقول إن الشعب هو مصدر السلطات، أما فى الإسلام فمصدر السلطة هو الله وحده، والذى يمارس الحكم باسم الإسلام هو الأمير أو الرئيس أيا كان لقبه، وهو لا يحكم باسم الشعب بل باسم الله، وإذا خرج عن الحكم بالقرآن والسنة وجب عزله، أما إذا حكم بالقرآن والسنة فليس لأحد أن يعارضه. وكان يؤكد أن السلطة التنفيذية لا تستمد صلاحيتها من الهيئة التشريعية، ومجلس الشورى، أو الشعب، ولكن تستمدها من الشرع الإسلامى نفسه، والحاكم المنتخب انتخابا حرا لا ينتمى لحزب، ويكون على أساس الكفاءة التى تقرها الأمة، والكفاءة تشمل التقوى والإيمان والصدق. ومع كل ذلك لم ينكر وجود مجلس شورى فى الدولة الإسلامية يكون منتخبا انتخابا حرا من الشعب.

وكان رحمه الله يقرب العلماء من مجالسه، ويرفعهم إلى أعلى الدرجات فى التكريم وليس أدل على ذلك من أنه صلى إماما بالناس على جثمان المودودى عندما انتقل إلى رحمة الله، كما رأس مئات من الندوات والمؤتمرات العلمية التى عقدت فى باكستان عن الإسلام.

واشتهر الرئيس ضياء الحق رحمه الله بعدائه الشديد للشيوعية والعلمانية وله فى ذلك خطب وأبحاث متنوعة. وكانت آخر كلماته عن الحرية والديمقراطية قوله: إننى أؤمن بالديمقراطية، ولكن داخل الإطار الإسلامى.

نسأل الله أن يغسله بالماء والثلج والبرد، وأن ينقيه من خطاياه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأن ينزله منازل الأبرار والشهداء.

أصابع الاتهام تشير إلى التورط الخارجى فى اغتياله:

تشير كافة أصابع الاتهام إلى تورط المخابرات السوفيتية المعروفة باسم "كى. جى. بى" وإلى مخابرات النظام الحاكم فى كابل المعروفة باسم "الخاد" والمخابرات الهندية بالتعاون مع أنصار رئيس وزراء باكستان الأسبق ذو الفقار على بوتو الماركسى فى جريمة اغتيال الرئيس المؤمن الشهيد ضياء الحق بوضع قنبلة فى طائرته التى كان يستقلها مع مرافقيه ليتفقد بعض المواقع العسكرية يوم الأربعاء ١٧ أغسطس عام ١٩٨٨م. وقد أكد المجاهدون الأفغان هذا الاتهام خاصة أن حكم الشهيد ضياء الحق فى باكستان الذى استمر أحد عشر عاما كان نكسة خطيرة للمد الشيوعى فى شبه القارة الهندية.

وكان الاتحاد السوفيتى قد قدم احتجاجا شديدا إلى باكستان قبل اغتيال الرئيس الشهيد بأسبوع بسبب مساعدتها المستمرة للمجاهدين الأفغان، وحذرت وكالة تاس السوفيتية الرئيس ضياء الحق شخصيا من عاقبة تصرفاته وتحديه للسياسة السوفيتية فى أفغانستان.

وقد اهتز العالم لهذا الحادث المؤلم. وقد نقلت وكالات الأنباء العالمية أصداء هذا الحادث المفجع الذى تم بالتورط السوفيتى الأفغانى الهندى الباكستانى والذى أصاب العالم الإسلامى بأسى عميق، وقالت: إن ضياء الحق كان يمثل رمزا إسلاميا بارزا قدم خدمات جليلة للإسلام والمسلمين داخل باكستان وخارجها. وقالت: إن العالم الإسلامى فقد إبنا عزيزا من أبنائه المخلصين الذين كرسوا حياتهم لخدمة الإسلام والشعوب الإسلامية، ووصفت اغتيال الشهيد ضياء الحق بأنه صدمة قوية

لمشاعر وعواطف الأمم الإسلامية، وقالت: إن ضياء الحق كان من أكثر قادة المسلمين خبرة ودراية.

ما بقى إلا مصحفه الشريف:

ذكرت إذاعة لندن فى تقرير لها من باكستان أنه فى الوقت الذى لم تعثر فيه السلطات الباكستانية على بقايا طائرة الرئيس الباكستانى ضياء الحق، فإنها قد عثرت على نسخة من المصحف الشريف الذى كان يحمله الرئيس الشهيد ضياء الحق معه دون أن يمسه أى أذى. وقالت الإذاعة البريطانية: إن هذه النسخة كاملة، ولم تمزق فيها ورقة واحدة. وقالت السلطات الباكستانية: إن الرئيس الشهيد ضياء الحق كان يحمل معه هذه النسخة من القرآن الكريم فى كل أسفاره وتنقلاته.

ضياء الحق فى سطور:

ولد الشهيد ضياء الحق فى أسرة مسلمة محافظة متوسطة الحال والمال فى مدينة جولاندو الهندية فى ١٢ أغسطس عام ١٩٢٤م، وكان والده أكبر على يعمل ضابطا فى الجيش البريطانى فى الهند المستعمرة. وقد بدأ ضياء الحق حياته عسكريا مبكرا حيث انضم إلى صفوف القوات الهندية فى الجيش البريطانى، وحارب إلى جانب القوات البريطانية فى الحرب العالمية الثانية، كما حارب بعد ذلك ضد الهند فى حرب بنجلاديش عام ١٩٧١م.

دفعه أبوه إلى حضور مجالس العلم، والتردد على بيوت علماء المسلمين فى الهند، واقترب من مجالس أبى الأعلى المودودى - رحمه الله - وحضر دروسه.

وكان من أشد المتحمسين لتأسيس الدولة الباكستانية، وعندما أعلن استقلال باكستان عام ١٩٤٧م انتقل ضياء الحق إلى الدولة الجديدة للمسلمين مع أسرته.

فى عام ١٩٧٦م عين رئيسا للأركان فى الجيش الباكستانى لكفاءته البارزة، وحسن سيره وسلوكه وسمعته الطيبة، متخطيا بذلك العديد من قيادات الجيش، وأثناء تأديته قسم الولاء العسكرى أضاف على القسم التقليدى قائلا: "وأن أعمل وفقا للقرآن الكريم وأسعى لنشر تعاليمه".

فى عام ١٩٧٧م أطاح الشهيد ضياء الحق بحكومة ذو الفقار على بوتو فى انقلاب عسكرى أبيض، نظرا لميوله الشيوعية الماركسية والبعد عن الإسلام الذى قامت من أجله دولة باكستان، ولقيامه باغتيال عدد من خصومه السياسيين، ثم صدق فيمابعد على حكم بإعدامه، وتم إعدامه، وعين نفسه رئيسا للدولة وقائدا للجيش.

وفى عام ١٩٧٩م تعهد الرئيس ضياء الحق ببناء المجتمع الإسلامى فى باكستان على أساس من الشريعة الإسلامية، وألغى الأحزاب السياسية فى باكستان.

وفى ٢٩ مايو ١٩٨٨م قام الرئيس الشهيد ضياء الحق بحل البرلمان، وإقالة محمد خان جوينجو رئيس الوزراء واتهمه بأن حكومته تباطأت فى تنفيذ سياسة تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة فى باكستان.

مستقبل القضية الأفغانية بعد غياب الشهيد ضياء الحق:

صحيفة الشرق الأوسط العدد ٣٥٦٣، فى ١٩٨٩/٨/٣٠م

يقول الأستاذ عبد رب الرسول سياف بعد اغتيال ضياء الحق: فقدنا من تعلقت روحه بالجهاد الأفغانى، ومن كنا نعامله كرفيق درب، وليس كمؤيد وصديق.. فقدنا من كنا نرفع أصواتنا فى وجهه، وهو يخفضه.... ويقول أحد الدبلوماسيين العرب فى إسلام آباد: إن أقرب اثنين من القادة الأفغان إلى الرئيس ضياء الحق كانا قلب الدين حكمتيار رئيس الحزب الإسلامى، وعبد رب الرسول سياف رئيس الاتحاد الإسلامى. وكانت علاقته بهما قوية سمحت لهما أن يعترضا عليه بشدة فى فترة توتر العلاقات بين الطرفين عندما وقعت باكستان اتفاقية جنيف مع النظام الحاكم فى كابل، فأكد لهما الرئيس الشهيد أن التوقيع ناتج فقط عن ضغوط هائلة وقعت عليه من قوى خارجية وداخلية عديدة، وأن نشاط المجاهدين لن يتأثر مطلقا بعد التوقيع. وهذا بالفعل ما حدث فمنذ ١٥ مايو ١٩٨٨م حينما دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ حتى ١٧ أغسطس ١٩٨٨م يوم أن وقع حادث الطائرة الذى أودى بحياة الرئيس الشهيد والعلاقات متوترة على أشدها بين باكستان من جهة وبين الاتحاد السوفيتى والنظام الذى يدعمه من جهة أخرى. وتبادل الطرفان عشرات الاتهامات بخرق اتفاقية جنيف، وهددت كابل بأن باكستان لم تذق طعم الحرب بعد، فأخذت الاشتباكات المحدودة تتوالى بين الطرفين فى المناطق الحدودية بصورة لم يسبق لها مثيل طيلة سنوات الحرب الثمانية. وبلغ التوتر ذروته يوم أن أسقطت الطائرات الباكستانية المقاتلة طائرتين سوفيتيتين إثر معركة جوية فى شمال باكستان، وسقطت إحدى الطائرتين داخل الأراضى

الباكستانية ووقع قائد الطائرة فى الأسر. ويبدو أن باكستان لم تكن تشاطر السوفيت رغبتهم فى تصعيد الوضع فعاجلت إلى تسليم الطيار الأسير إلى القائم بالأعمال السوفيتى فى إسلام آباد أمام عدسات الصحف والتلفزيون صباح يوم الأربعاء ١٧ أغسطس ١٩٨٨م وقبيل سقوط طائرة الرئيس الشهيد بساعات قليلة.

الدعم لن يتأثر:

ورغم التطمينات العديدة من جانب المسئولين فى إسلام آباد ابتداء من رئيس الجمهورية المكلف غلام إسحاق خام مرورا برئيس الأركان أسلم بيك فالمؤكد أن دعم المجاهدين الأفغان لن يتأثر إلا أن الوضع لم يعد كما كان فى السابق وكما يوضحه تصريح الأستاذ برهان الدين ربانى زعيم الجمعية الإسلامية حيث يقول نتوقع التعديلات فى الموقف الباكستانى إلا أنها لن تكون جوهرية.

ويتوقع ألا تقتصر التعديلات على التصريحات القوية التى تميز بها الرئيس الشهيد فى حديثه عن المجاهدين. فغلام إسحاق خان لم يسم المجاهدين بإخوانه ولم يتحدث عن أمله فى الصلاة فى كابل مع المجاهدين بعد تحريرها، كما قال الرئيس ضياء الحق أمام جمع من الصحفيين قبل أيام قليلة من استشهاده. فالرئيس الحالى أعلن بوضوح فى أول مؤتمر صحفى له أن الدعم العسكرى للمجاهدين لا يقع تحت مسئولية باكستان وأنه قضية تخص الولايات المتحدة التى اتفقت مع الاتحاد السوفيتى على إيقاف التسليح السلبى أو الإيجابى للطرفين المتحاربين فى أفغانستان. ويعنى ذلك ضمان استمرار توصيل السلاح إلى المجاهدين عبر الأراضى الباكستانية طالما أن الولايات المتحدة لديها شحنات سلاح جديدة للأفغان، وكيفت عملية استلام السلاح وتوزيعه المعقدة والمحاطة بالسرية تقع تحت إشراف المباشر للرئيس

الشهيد، والجنرال أختر عبد الرحمن الذى قتل أيضا فى الحادث. وفى الغالب فإن الرئيس الحالى عالم بتفاصيل هذه العملية بحكم علاقته القوية السابقة مع ضياء الحق.

ومن أشد ما يقلق القادة الأفغان هو استخدام السلاح كوسيلة ضغط عليهم، ويؤكد الشيخ سياف أن الرئيس ضياء الحق لم يلجأ لذلك مطلقا.، أما الآن ومع القادة الجدد والسياسة الأمريكية الباحثة عن حل سلمى فإن ذلك لم يعد مستبعدا.

هل يوجد بديل للمجاهدين؟:

و لم يعد خافيا ما يجرى فى الساحة الأفغانية فهناك نشاط جاد لإيجاد بديل أو على الأقل نظير للمجاهدين الأفغان ينافسهم سلطتهم المطلقة على أفغانستان خارج مناطق الحكومة المدعومة من السوفيت، وأكثر صور هذا النشاط وضوحا كانت زيارة دييجو كوردافيز مبعوث الأمم المتحدة السابق فى شهر يوليو ١٩٨٨م والتى استمرت ١١ يوما أنهاها بالدعوة إلى وقف إطلاق النار فى أول سبتمبر ١٩٨٨م وتشكيل حكومة ذات قاعدة موسعة، وتختار هذه الحكومة فيما بعد "لويه جركه" المجلس الشعبى الأعلى يقرر شكل الحكومة الدائمة فى أفغانستان، ويختار أعضائها. و لم تكن خطة كوردافيز مجرد اقتراح من مبعوث الأمم المتحدة سبق له أن نجح فى الترتيب لاتفاقية جنيف قبل أن يترك الأمم المتحدة عائدا إلى بلاده الأكوادور بعد أن عين وزيرا لخارجيتها. فقد وجدت الخطة اهتماما فى إسلام آباد وموسكو وطهران بل إنها وجدت صدى فى صفوف اتحاد المجاهدين اقتصر على المتحدث الرسمى الحالى للاتحاد بير سيد أحمد جيلانى المعروف

بصلاته الجيدة مع قوى غربية غير أن حجم حزبه العسكرى المحدود أمام "أشداء" الجهاد جعله يمتنع عن لقاء كوردافيز رغم تصريحاته المترددة عن وجود عناصر إيجابية فى اقتراحات كوردافيز.

وقام جيلانى إثر ذلك بحملة يدعو فيها إلى ضرورة عقد "لويه جركه" تختار حكومة أفغانية يتفق عليها معظم الأفغان الأمر الذى أغضب قادة الأحزاب الأربعة الرئيسية "الحزب الإسلامى بجناحيه والجمعية والاتحاد" لما يترتب على دعوة جيلانى من تهديد لمستقبل حكومة المجاهدين التى لم تحظ بعد باعتراف أية دولة. وتؤكد عناصر تعمل مع المجاهدين فى بشاور أن ضياء الحق هو الذى أشار إلى جيلانى بوقف دعوته إلى الـ "لويه جركه".

تعديلات محدودة:

ويجئ رفض قادة الجهاد لمقترحات كوردافيز وعقد "لويه جركه" لاقتناعهم أنها تهدف إلى تقديم طرف آخر فى الساحة الأفغانية التى تقتصر حاليا عليهم وعلى النظام القائم فى كابل والمهدد بالسقوط. ويشرح ربانى ذلك بقوله: يستطيع المجاهدون عقد "لويه جركه" حقيقية من العناصر صاحبة النفوذ والقول فى أفغانستان، ولكننا نعلم أن هناك من يريد فرض عناصر أخرى جديدة على الساحة وليس لها علاقة بالجهاد طوال العقد الأخير. لذلك يتوقع أن تكون التعديلات المحدودة على سياسة الرئيس الشهيد فى إطار مشروع إيجاد الطرف الآخر "البديل أو المنافس للمجاهدين".

وقد تحدث صاحب زاده يعقوب خان وزير خارجية باكستان وأحد أقوى الوزراء فى الحكومة الحالية عن موقف باكستان من الحكومة الموسعة التى يرى أنها

الحل الأمثل للمشكلة الأفغانية وقال إن الحكومة الموسعة لا تعنى بالضرورة مشاركة حزب الشعب الحاكم - الماركسى - فى أفغانستان. غير أنه قال إنه لابد من عقد "لويه جركه" لاختيار هذه الحكومة ويمكن الاستنتاج من ذلك أن باكستان تقف حاليا مع استبعاد الماركسيين بكابل والمتشددين من المجاهدين المصرين على الحكومة الإسلامية مقابل الاتفاق على حكومة وطنية معتدلة. وهذا الحل قد لا يختلف كثيرا مع طرح القوى الأخرى ذات العلاقة بما فيها موسكو.

تبعا لذلك يتوقع أن تتجدد آمال القوى التقليدية فى الاتحاد وهى أحزاب صبغة الله مجددى، ومحمد نبى محمدى، وسيد أحمد جيلانى فى أن تتغير موازين القوى لصالحها داخل اتحاد المجاهدين الأفغان، وأن تعرض القوى الخارجية عن الضعف العسكرى والنفوذ فى الداخل، وتدعو هذه الأحزاب إلى دعوة الملك السابق ظاهر شاه، وعناصر أفغانية أخرى ابتعدت عن الساحة منذ وصول حزب الشعب الحاكم إلى الحكم فى كابل.

المراقب لتاريخ الجهاد الأفغانى لا يخفى عليه أن الرئيس الشهيد استفاد من ظاهرة الانقسام فى الصف الأفغانى لتأكيد سيطرته على مسار القضية كعادته فى قضايا باكستان الأخرى. وقد عاش الرئيس وتابع وأشرف أحيانا على التجمعات الحزبية الأفغانية وتوحدها وانقسامها مرة أخرى الأمر الذى جعل الجماعة الواحدة فى عام ١٩٧٣م تنقسم إلى خمسة أحزاب.

لذلك لا يستبعد أن يؤدى غياب الرئيس الشهيد ضياء الحق عن الساحة الأفغانية إلى التقريب بين الأحزاب الأفغانية الرئيسية، وقد ظهرت بوادر لذلك

بانتشار أخبار فى بشاور عن ترتيب لقاء بين الزعيمين القويين المتنافسين قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامى، وأحمد شاه مسعود المشهور بأسد بنجشير والذى استطاع تأكيد سيطرته على مساحات شاسعة من ولايات الشمال. وتأتى هذه الأنباء مع اقتراب موعد فتح كابل حسب اعتقاد المجاهدين مع سحب السوفيت لقواتهم الأخيرة بحلول ١٥ فبراير عام ١٩٨٩م.

ويعد من الضرورى تعاون الحزب الإسلامى والجمعية الإسلامية فى هذه العملية نظرا لإشرافهما على معظم القوات المحاصرة لكابل. كما أن ربانى تحدث بتقدير كبير عن حكمتيار فى أحد أحاديثه الصحفية، وكان الأخير قد انفصل عن ربانى قبل خمسة عشر عاما حينما أصر حكمتيار على إعلان الجهاد واللجوء إلى المواجهة العسكرية فى معارضتها للتوجه اليسارى الذى بدأ مع اعتلاء محمد داود للحكم عام ١٩٧٣م.

بعيدا عن ذكريات علاقتهم بضياء الحق حلوها ومرها لا يزال الأفغان يؤكدون على عمق تأثرهم لفقدان الرجل الذى وصفوه بشهيد أفغانستان فعلى جميع شوارع بشاور تنشر صور الرئيس الشهيد وقد أحيطت بنعى أحد الأحزاب الأفغانية فى الوقت الذى أعلن فيه قادة المجاهدين أنهم سينشئون جامعة فى كابل لتحمل اسم الرئيس محمد ضياء الحق. وتؤكد هذه الأحداث أن أفغانستان بعد ضياء الحق أضحت جزءا مهما فى خريطة المصالح الباكستانية التى لابد وأن تنظر إليها أية حكومة باكستانية قادمة من خلال رؤية جيش باكستان القوى، وبالطبع فإن رجال الجيش الباكستانى يؤمنون أن أفغانستان إسلامية على حدودهم الشمالية تبعد الخطر السوفيتى وتمنع عنهم الالتفاف الهندى.

موقف باكستان من المجاهدين بعد غياب الرجل الذى دعمهم:

الشرق الأوسط، العدد ٣٥٦٣، فى ١٩٨٩/٨/٣٠م (لوس أنجليس تايمز)

قالت صحيفة "لوس أنجليس تايمز" إنه بمقتل الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق فى حادث انفجار طائرة فقد المجاهدون الأفغان أكبر حليف لهم. كما قتل فى الحادث الجنرال أختر عبد الرحمن الذى كان لفترة طويلة العقل المدبر لإمداد المجاهدين بالسلاح الباكستانى. وتقول الصحيفة إن زعماء المجاهدين الأفغان يشعرون بالقلق ولا يعرفون ما إذا كان لهم أن يتوقعوا نفس الدعم المادى والمعنوى من زعماء باكستان الجدد. وحتى الآن يقول زعماء المجاهدين أن مسئولى إسلام آباد طمأنوهم إلى أنه لن يحدث تحول رئيسى فى سياسة باكستان.

وقال سيد أحمد جيلانى زعيم الجبهة الإسلامية الوطنية: إننى واثق من أنهم سيواصلون انتهاج نفس سياسة ضياء الحق، ولا أعتقد أنه سيحدث أى تحول. ولكن دبلوماسيين غربيين يقولون إن القيادة الجديدة بزعامة رئيس باكستان بالنيابة غلام إسحاق خان ستشغل حتما بالمسائل الداخلية فى الفترة السابقة لانتخابات الجمعية الوطنية المقرر إجراؤها فى ١٦ نوفمبر ١٩٨٩م. وأضافت "لوس أنجليس تايمز" تقول: إنه على الرغم من أن باكستان قد تواصل تعاطفها مع المجاهدين الأفغان فى نضالهم للإطاحة بحكومة كابل المدعومة من السوفيت فمن المرجح ألا تتعامل مع القضية الأفغانية بالحماس ذاته الذى كانت عليه خلال حكم الرئيس الشهيد ضياء الحق.

والسيد محمد إسحاق خان من البشتون، وهم من الجماعات العرقية الباكستانية التى يتسم موقفها من القضية الأفغانية بفتور ملحوظ مقارنة بباقى الشعب الباكستانى.

المساعدات مستمرة:

وفى أول مؤتمر صحفى له بعد إمساكه بزمام الأمور، قال إسحاق خـان إن المساعدات الإنسانية للثوار الأفغان ستستمر دون تغيير، بل وربما زادت. لكنـه لمـح إلى أن الحكومة قد تكون مستعدة لممارسـة ضغـط علـى زعمـاء المجـاهدين السـبعة المتمركزين فى مدينة بشاور بشمال غرب باكستان لحملهم على قبول حل وسـط فيما يتعلق بمستقبل أفغانستان.

وكان الرئيس الشهيد ضياء الحق حليفا مخلصا للمجاهدين، وبشكل خـاص لأربـع جماعـات منهـم تدعـو إلى تطبيـق الشـريعة الإسـلامية تطبيقـا صارمـا فـى أفغانستان. وفى جنازة الرئيس ضياء الحق كان زعماء المجـاهدين مجتمعين علـى أن حادث انفجار الطائرة كان عملا تخريبيا، وقالوا إنـه مـن تدبـير كـابل وموسـكو. ونفت السفارة الأفغانية فى إسلاد آباد نفيا قاطعا وجـود أى دور لأفغانسـتان فـى مصرع الرئيس الشهيد ضياء الحق. وقد حرص جميع زعماء المجاهدين الأفغان الذين حضروا تشييع الجنازة معانقة رئيس الأركان الباكستانى الجديد الجنرال مرزا إسلام بك الذى يعرفونه معرفة سطحية للغاية. وقضى السيد قلب الديـن حكمتيـار وقتـا أطول من الآخرين مع الجنرال إسلام بك، والسيد حكمتيـار هـو زعيـم المجـاهدين الذى سيتعرض لأفدح خسائر إذا ما حدث تحـول فـى سياسـة باكسـتان. وتقـول الصحيفة إنه بدون الحماية القوية والمعاملة التفضيلية التى كان يسبغها الرئيس ضياء الحق على الحزب الإسلامى قد يجد السيد حكمتيار نفسه معزولا داخل التحـالف. وتقول الصحيفة إن تعديلا وشيك الحدوث داخل تحـالف الثـوار ستشـكل بموجبـه ثلاثة من الأحزاب الأصولية الأربعة رابطة ذات علاقـات أوثـق. وبذلـك سيكون

هناك تجمعان رئيسيان أحدهما من ثلاثة أحزاب أصولية، والآخر من ثلاثة أحزاب قومية. والسيد حكمتيار أكثر "الرافضين تشددا بين الزعماء السبعة، وتكاد معارضته للولايات المتحدة تماثل معارضته للاتحاد السوفيتى، إلا أنه كان يتمتع بالنفوذ فى ظل الرئيس ضياء الحق لأن مساندة الرئيس له كانت تضمن استمرار حصول رجاله على أكثر الأسلحة والذخيرة تطورا.